

هل يستطيع أن يفعلها؟



جيمس زغبى

أنا عائد لتوي من الشرق الأوسط في أعقاب خطاب أوباما في القاهرة، وانتصار تحالف 14 آذار في لبنان، وعودة السيناتور جورج ميتشل إلى المنطقة، حيث يسمح بعض الشجعان لأنفسهم بالشعور ببعض الأمل. أقول "شجعان" لأن الجرأة بوضع الثقة بأي رئيس أمريكي، رغم وجود إعجاب واسع بالرئيس باراك أوباما وتقدير لما يقوله، أو الاعتقاد بأن السلام قد يكون ممكنا، تتطلب قفزة ثقة نوعية.

هناك أسئلة كثيرة. أحدها، بشكل خاص، والذي طرح علي بشكل متكرر، مكون من كلمات بسيطة مخادعة - "هل يستطيع أن يفعلها؟" في كل مرة كان يطرح فيها هذا السؤال، كنت أستمع بعناية لكي أتبين على وجه التحديد ما هو المقصود بالسؤال.

في كل مرة، بالطبع، كان الفاعل "هو" يعود على باراك أوباما. زاد انتخابه من مستوى التوقعات عند الكثيرين في جميع أرجاء المنطقة، وقد شعر هؤلاء بخيبة الأمل بسبب تصرفاته الأولى كرئيس. الفعلان في الجملة "يستطيع" و "يفعل" يطرحان أسئلة حول القدرة، الالتزام والإرادة السياسية للرئيس.

المفعول به في الجملة الذي هو (الضمير المتصل) "ها"، من ناحية أخرى، كان له عدة معان. في بعض الحالات، كانت "ها" ترمز إلى الهدف المعلن للرئيس بتحقيق "حل الدولتين". في حالات قليلة، كان السائل يرجع بضع خطوات إلى الوراء ليتساءل فيما إذا كان الرئيس لديه القوة ليستمر في محاولات منع إسرائيل من بناء المستوطنات، أو ليعرض على حكومة نتنياهو للتفاوض على جميع القضايا التي تحتاج إلى حل للوصول إلى سلام عادل. بالنسبة للقليبين، كانت "ها" تحمل إشارة للوضع الداخلي الأمريكي، كقدرة الرئيس على مواجهة ضغوط سياسية داخلية وهل يستطيع المقاومة أم إنه سيستسلم خوفا من إلحاق الضرر برئاسته؟

ومما يثير الاهتمام أن عددا قليلا من الأشخاص الذين تحدثت إليهم أبدوا شكوكا بنوايا الرئيس أوباما أو التزامه. نزاهة أوباما لم تكن موضع شك. ما كان يثير القلق والشك هو ما إذا كان الرئيس الأمريكي يمتلك القوة للتغلب على القيود السياسية في الولايات المتحدة وإسرائيل.

السبب الآخر لطرح السؤال هو أن الكثيرين يعتقدون أن هدف "حل الدولتين" بحد ذاته مدعاة للشك. مشروع المستعمرات الضخم، إحساس إسرائيل بحقها بالاحتفاظ بالمستعمرات التي تم بناؤها على الأرض مع البنى التحتية التي تساعد على بقائها، مضافا إلى ذلك التعصب العنيف لحركة المستوطنين، جميع هذه الأمور تتحد لتثير الشكوك حول ما إذا كان "حل الدولتين" الذي يقترحه الرئيس ممكنا. وهكذا، عندما يسألون "هل يستطيع أن يفعلها؟"، فهم لا يشككون به، لكنهم يتساءلون فيما إذا كان هدفه ممكن التحقيق. ومرة أخرى هناك أولئك الذين لا يشككون بالتزام الرئيس، لكنهم يخشون من أن اهتمامه بالسلام في الشرق الأوسط قد لا يطول أمده. بما أن الهدف سيكون صعب التحقيق، هم يعتقدون أنه ما إن تتبلور قضايا هامة على الأرض - مثل الرعاية الصحية، انتخابات 2010، أو أزمة غير متوقعة - سيتخلى الرئيس عن الشرق الأوسط حتى لا يضيع وقتا ورأس مال ثميناً في جهود بلا فائدة لحل ما لا يمكن تحقيقه.

في كل حالة من الحالات، تجاوبت مع الاختلافات حول سؤال "هل يستطيع أن يفعلها؟" بالملاحظات التالية:

• الرئيس يعرف أن الضغوط على إسرائيل كان لها مفعول في السابق ويمكن أن يكون لها أثر مرة أخرى. هناك رؤساء أمريكيون سابقون استخدموا الضغوط بنجاح لإجبار إسرائيل على تقديم تنازلات. مشكلة جهود سابقه أنهم كانوا يضعون سقفاً منخفضاً لأهداف الجهود السياسية التي كانوا يبذلونها. أوباما، من ناحية أخرى، يبدو أنه لا يريد مجرد "تجميد المستوطنات" أو حضور إسرائيل لمؤتمر سلام، ولكنه يريد تحقيق "حل دولتين" قابل للاستمرار في وقت قصير.

• هل سيتشتت انتباه الرئيس أوباما بأهداف أخرى أكثر إلحاحاً؟ بما أنه قال إن تحقيق "حل الدولتين" يعتبر من مصالح الأمن القومي للولايات المتحدة، يبدو أن أوباما ليست لديه نية في التراجع، لأنه إذا فعل ذلك سيعرض مصالح الأمن القومي الأمريكي للخطر.

لكن هناك عقبتين لا تزالان تقفان في طريق الإجابة بـ "نعم" مؤكدة على السؤال "هل يستطيع أن يفعلها؟" - وكلتا العقبتين لهما علاقة بأسئلة يجب على العرب، والفلسطينيين بشكل خاص، أن يجيبوا عليها.

العقبة الأولى، تتعلق بحاجة الفلسطينيين لترتيب بيتهم السياسي. إذا شكلت السلطة الفلسطينية وحماس حكومة وحدة وطنية ستعززان بذلك قوة الرئيس، مما يضع ضغوطاً إضافية على إسرائيل لتكون أكثر مرونة. إذا لم تتحقق المصالحة الوطنية الفلسطينية سيكون من الصعب تخيل أي تقدم إلى الأمام.

العقبة الثانية تتعلق بطبيعة الـ"ها"، التي هي الدولة الفلسطينية. ليس هناك شك بأن نتناها هو سيوافق في وقت ما على هذا الهدف. لكنه سيفعل ذلك واضعاً شروطاً تجعل مثل هذه الدولة غير ممكنة من وجهة نظر التطلعات الفلسطينية المشروعة. الفلسطينيون بالطبع سيكون عليهم أن يبينوا الحد الأدنى الذي يقبلون به، والذي يجب أن يكون عادلاً وممكن التحقيق. في النهاية هناك دور يجب على كل طرف أن يلعبه قبل الإجابة على سؤال "هل يستطيع أن يفعلها؟" بشكل نهائي.

* نقلا عن صحيفة "الوطن" السعودية